دَوْرُ العِلْمِ في تَطْوِيرِ التَّفْسِيرِ وَتَصْحِيحِهِ..

هاشم ابوخمسين

الاحساء- المملكة العربية السعودية

فحوى البحث

للبحث هدف أساس يتمثل في التعرف على دور العلم في تطوير التفسير وتصحيحه.

أما الأهداف الثانوية، فتتمثل في ثلاثة أمور هي:

١. التعرف على أمثلة من مساهمة العلم في التعمق في التفسير، واكتشاف مصاديق أو معانٍ جديدة فيه.

٢. التعرف على أمثلة من أنموذجات استعمال بعض المفسرين للعلم خارج الضوابط التفسيرية المعهودة.

٣. التعرف على أمثلة من مساهمة العلم في تصحيح الخاطيء للآيات.

ويقوم السيد الباحث بعرض بعض المعلومات من التفسير على قلَّتها ثم يحللها لمعرفة دور العلوم البشرية وأثر تطورها في تطوير التفسير من جهة، ولتوضيح كيف أن نتائج تلك العلوم أثَّرت في تصحيح بعض المعلومات التفسيرية المخطوءة في كتب المتقدمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

محاور الدرس:

أولا: أمثلة على أن العلم ساهم في التعمق في التفسير واكتشاف مصاديق أو معان جديدة.

ويجدر التنبيه -قبل الدخول -على هذه اللنقطة وهي أن ما أشار إليه القرآن الكريم في هذه الآيات القرآنية العلمية المشار أليه في هذا المبحث، وإن كانت تبدو للنظر محسوسة وملموسة يمكن أن يدركها عامّة الناس، إلا أنه مع تطور العلم وتقدمه تبدو للبشر لطائف جديدة في هذا المجال، وتتضح للعلماء أمور ذات أهمية كبرى[1].

١. تطور علم الفلك وتأثيره في تفسير بعض الآيات:

إن تطور العلم والتكنولوجيا الحديثة كشف الكثير من الحقائق القرآنية، ولعل من ذلك أن الشمس وردت في القرآن الكريم ٣٣ مرّة وبمعان فلكية رائعة تحكي الحقيقة العلمية بكلّ وضوح، ولعل أهمها تلك الآيات التي تتحدث عن حركاتها الكثيرة وبأسلوب علمي جمالي يخلب الألباب، وتلك الآيات التي تتحدث عن هرم الشمس وشيخوختها وموتها في آخر الأمر كبقيّة المخلوقات التي نشرها الله تعالى في كونه الكبير.

وردت الشمس كما وردت بقية الأجرام الكونية والظواهر السماوية الأخرى ضمن أسلوب وهدف القرآن، وهو الهداية وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم والحياة. ولأن القرآن ليس كتابا علميا خاصا، لم يتعرض إلى قطرها، ولا إلى حجمها، ولا إلى كثافتها، ولا إلى درجة حرارتها أو جاذبيّتها، ولا لأي رقم علمي محدّد مما تتعرض له الدراسات الكونية المعاصرة، ولكن يمكن لقارئ القرآن والباحث في الآيات الكونية أن يحصل على بعض المعلومات الممتازة عن الشمس وان كانت قليلة، ويمكن أن يأتي باحث آخر ويلتقط معلومات أخرى ضمن حدود معينة أخرى، ويبقى الباحثون الجادّون غائصين في بحر القرآن، كلّ يلتقط ما يستطيع من لآلئه، مستفيدين

(١) الشيخ مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢/ ٤٩٣.

من علوم عصرهم، فهي أضواء إضافية تنير الطريق للغوص في طرق الشمس والآيات الكونية الأخرى الزاخرة في القرآن الكريم، فإن ما يتوصل إليه العلماء في مجال الفلك في هذا العصر الحديث المملوء بالاكتشافات الباهرة حول هذا الجرم السماوي هو يؤكد ويؤيد يوما بعد آخر ما ذكره ديننا الإسلامي حول الشمس في جميع خصوصياتها[٢].

تعالوا بنا لنتأمل في جانب آخر من جوانب الإعجاز القرآني في إثباته لحقائق علمية لم تظهر إلا في زماننا هذا. ففي نهاية سنة ١٩٩٨م أعلن في إذاعة لندن -القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية -خبر مهم عن أهم اكتشاف في هذا العام حيث توصل علماء الفلك إلى أن الكون يزداد ويتسع. فتوارد إلى ذهني قول الله تعالى في سورة الذاريات؛ ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[سورة الذاريات: ٤٧].

ولكن هل فطن المفسرون المتقدمون إلى ذلك؟.

لنرجع معاً إلى ما كتبه الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية، حيث قال:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ [سورة الذاريات: ٤٧]، لما بين هذه الآيات قال: وفي السماء آيات وَعِبرَ تدل على أن الصانع قادر على الكمال، فعطف أمر السماء على قصة قوم نوح لأنهما آيتان. ومعنى «بأيد» اي بقوة وقدرة؛ عن ابن عباس وغيره. «وإنا لموسعون»، قال ابن عباس: لقادرون. وقيل: اي وإنا لذو سعة، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده. وقيل: اي وإنا لموسعون الرزق على خلقنا. عن ابن عباس أيضا. الحسن: وإنا لمطيقون. وعنه أيضا: وإنا لموسعون الرزق بالمطر. وقال الضحاك: أغنياكم؛ دليله: ﴿ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٦]. وقال القتبي: ذو سعة على خلقنا. والمعنى متقارب. وقيل: جعلنا بينها وبين الأرض سعة. الجوهري: وأوسع الرجل اي صار ذا سعة وغنى، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[سورة الذاريات: ٤٧] اي

(٢) السيد محمد الحسيني الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان:١/ ٥٥. الناشر: دار العلوم. الطبعة الأولى١٤٢٤هـ، بيروت.

أغنياء قادرون. فشمل جميع الأقوال[٣].

ما تعنيه السماء، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ [سورة الطارق: ١١].

ورد عن ابن عباس في هذه الآية، قال: المطر بعد المطر[٤]. وهو وإن كان تفسيرا علميا بل ولعله أشار إلى دورة المياه الكبرى، ولكن مع تطور العلم اكتشف أن السماء ترجع أشياء كثيرة غير المطر.

فذات الرجع، إذ تعكس ما يتصاعد إليها من بخار ماء، كما أن الطبقة الأعلى منها (ستراتوسفير) أيضا ذات رجع، ويحدث فيها معظم عمليات إنزال المطر، ويعود فيها غاز الأوزون بتأثير الأشعة فوق البنفسجية إلى غاز الأوكسجين، والطبقتان العلويتان (أيونوسفير وسيزوسفير) ذواتا رجع أيضا، لأنهما تعكسان وتردان موجات الراديو الطويلة والمتوسطة وبعض الموجات القصيرة المتأينة، الصاعدة إليها من سطح الأرض. كما تعكس هاتان الطبقتان أيضا الموجات الساقطة على الغلاف الجوي من الفضاء الخارجي، وتعيدها إليه[٥].

٢. تطور علم الطب وتأثيره في تفسير بعض الآيات:

في قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [سورة الطارق: ٥-٧] فسروا «فلينظر الإنسان» بالمكذب المنكر للبعث، فلينظر وليفكر وليستدل؛ «ممّ خلق» وان الذي خلقه من نطفة قادر على إعادته وبعثه؛ «خلق من ماء دافق» يعني المني الذي تكون منه الولد؛ «يخرج من بين الصلب والترائب» صلب الرجل وترائب المرأة، والمشهور في كلام العرب أن الصلب والترائب هي عظام الصدر والنحر[٦].

والطب أثبت والتشريح يثبت خروجه من منطقة أسفل الحوض حيث يستقر الجهاز التناسلي الذكري.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٨/ ٥٢.
(٤) السيوطي، الدر المنثور في تفسير المأثور: ٦/ ٣٣٧.
(٥) خالد فائق العبيدي، الفلك: ٦١. دار الكتب العلمية الأولى، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م. بيروت.
(٦) محمد باقر الناصري، مختصر مجمع البيان: ٣/ ٥٤٨. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، قم.

لقد كان تفسير قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[سورة العلق: ٢] بمعنى دم. وقال «من علق» بلفظ الجمع -جمع علقة، والعلقة الدم الجامد، وإذا جرى فهو المسفوح -لأنه أراد بالإنسان الجمع، وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة. والعلقة قطعة من دم رطب، سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه، فإذا جفت لم تكن علقة[٧].

اكتشف الطب الحديث أن هذا السائل من منيّ الإنسان يحوي حيوانات صغيرة تسمى الحيوانات المنوية، وهي لا ترى بالعين المجرّدة، إنما ترى بالمكرسكوب. وكل حيوان منها له رأس ورقبة وذيل يشبه دودة العلق في شكلها ورسمها، وأن هذا الحيوان يختلط بالبويضة الأنثوية فيلقحها، فإذا ما تمّ اللقاح انطبق عنق الرحم فلم يدخل شيء من بعده إلى الرحم، وأمّا بقية الحيوانات فتموت.

وهذه الناحية العلمية وهي أن الحيوان المنوي يشبه العلق في الشكل والرسم فقد أثبتها القرآن، استمع إلى قوله جلّ وعلا: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [سورة العلق: ١ -٢] فهذه الآية معجزة بليغة من معجزات القرآن لم تظهر وقت نزولها ولا بعده بمئات السنين إلى أن اكتشف المجهر المكبّر (المكرسكوب) وعرف كيف يتكون الإنسان بقدرة الله[٨].

وكنتيجة لزيادة عدد الاكتشافات العلمية فقد تغير التفسير والفهم لكلمة «علق» من الدم إلى الشيء المعلق -وبداية الجنين عبارة عن شيء معلق في جدار الرحم -والشيء الماص -وبداية الجنين عبارة عن موجود يتغذى بطريقة المص من جدار الرحم -والشيء المتغذي على الدم- وبداية الجنين عبارة عن موجود يتغذى على الدم فقط -[٩].

- البصمات، في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ [سورة القيامة: ٤].

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢١/ ١١٩.

(٨) محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن: ١٣٤، عالم الكتب، الأولى. ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م. بيروت.

(٩) محمد على رضايى اصفهاني، پژوهشى در اعجاز علمى قرآن: ٢٩١، ناشر: كتاب مبين، ١٣٨١ ايران.

عند إحاطتنا بدلالات الكلمة اللغوية-الحقيقة والمجازية -واستعمالات العرب لها، إن وجدنا أن حقيقة علمية تؤيد إحدى هذه الدلالات، لا بأس عندئذ أن نرجح الدلالة التي أيدتها الحقيقة العلمية، على أن لا نحكم بالبطلان والفساد على الدلالة التي رجحناها من جهة أخرى، فقد تكون الحقيقة العلمية التي رجحنا في ضوئها هذه الدلالة إحدى وجوه دلالات الآية، وظلالها ممتدّة إلى حقائق أخرى لم نتمكن من التوصل إليها حسب ثقافة عصرنا، إلا أن التقدم العلمي والحضاري كفيل أن يميط اللثام لنا عن جوانب أخرى.

فمثلا قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة: ٤] كان إلى ما يقرب من مائة سنة ينظر إلى دلالة تسوية البنان، نظرة تختلف عن نظرتنا لها الآن بعد معرفة قضية البصمات، إلا أننا لا نبطل كلام السلف في معنى الآية، فالآية تدل على ما قالوه وما فهموه، والشعور الذي استقر في نفوسهم عن أن هنالك حكمة عظيمة في خلق البنان وتسويته على هذه الشاكلة شعور مرهف وصحيح، وإن كان فهمنا الآن لدلالة الآية في ضوء معطيات العلم الحديث أعمق وأدل، وشعورنا في دقة صنعة الخالق سبحانه وتعالى وحكمته سليم وصحيح، ولكن لا نستطيع أن نقول أن معنى الآية هو هذا فحسب، وليس بعد فهمنا لها فهم آخر، بل قد يكشف لنا المستقبل عن أسرار إلهية في البنان فوق ما تصورناه ووصلت إليه مداركنا العصرية، وتبقى الآية الكريمة مجال بحث الباحثين واستنباط المفكرين وبصمة إعجاز على جبين العصور؛ ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة: ٤].

٣. التطورات السياسية وتأثيرها في تفسير بعض الآيات:

- لقد فرض على العالم الإسلامي الكثير من التحديات التي لم تكن في الحسبان، منها الاحتلال الصهيوني لفلسطين. ومن كان يظن أن اليهود ستكون لهم قوة وسطوة، ويصبح لهم كيان!. وتقام لهم دولة!. يهاجرون إليها من كل حدب وصوب!؟.

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد إشارات صريحة إلى هذا الواقع المرير الذي نعيشه، فضلا عن اشتماله على جوانب متعددة من الإعجاز العلمي الذي يسبق به كل عصر، ولا عجب فهو المعجزة الخالدة والعطاء المتجدد والنهر المتدفق الذي لا ينقطع إمداده ولا تنقضي عجائبه، وصدق المولى إذ يقول: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[سورة الكهف: ١٠٩].

ولنتأمل، على سبيل المثال، ما ذكره القرطبي في تفسير قوله تعالى في سورة الإسراء، والتي تسمى أيضا سورة بني إسرائيل: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾[سورة الإسراء: ١٠٤]، قال: «وقلنا من بعده» اي من بعد إغراق فرعون؛ «لبني إسرائيل اسكنوا الأرض» اي أرض الشام ومصر؛ «فإذا جاء وعد الآخرة» اي القيامة؛ «جئنا بكم لفيفا» اي من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر لا يتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيّه. وقال ابن عباس وقتادة: جئنا بكم جميعا من جهات شتى. والمعنى واحد. قال الجوهري: واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، يقال جاء القوم بلفهم ولفيفهم اي وأخلاطهم، وقوله تعالى ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ اي مجتمعين مختلطين، وطعام لفيف إذا كان مخلوطا من جنسين فصاعدا، وفلان لفيف فلان اي صديقه. قال الأصمعي: اللفيف جمع وليس له واحد، وهو مثل الجميع، والمعنى أنهم يخرجون وقت الحشر من القبور كالجراد المنتشر، مختلطين لا يتعارفون. وقال الكلبي: «فإذا جاء وعد الآخرة» يعني مجيء عيسى عليه السلام من السماء[١٠].

وها نحن رأينا الآن الهجرة الجماعية لليهود إلى إسرائيل وعملية اغتصاب أراضي إخواننا الفلسطينيين وتحويلها إلى مستوطنات لليهود!. أليس لهذا الواقع اعتباره حين نمر بهذه الآيات ونفسرها في ضوء واقعنا المعاصر؟. أليس هذا من

(١٠) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٠/ ٢١٩. ويراجع جامع البيان، للطبري: ١٥/ ١٧٦-١٧٧.

إعجاز القرآن الكريم حيث أخبرنا عن حاضرنا ومستقبلنا؟. فهو رسالة صالحة لكل زمان ومكان.

٤. **تطور علم المكانيك وتأثيره في تفسير بعض الآيات:**

- لما تحدث القرآن الكريم عن وسائل المواصلات -من سيارات وقطارات- التي هيأها المولى لنا، لم تتوقف الآيات عند حد الوسائل القديمة التقليدية ولكنها حلقت بنا في أجواء أخرى أمام وسائل أخرى أسفر عنها زماننا ولا يزال الباب مفتوحا والتحدي قائما والقرآن سابقا لكل عصر. قال تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[سورة النحل: ٨].

ومما يحسب للمتقدمين من المفسرين أنهم تجاوزوا حدود هذه الدنيا الفانية ليحدثونا عن نعيم الجنة وما فيه من مراكب عجيبة خلقها ليستمتع بها أهل الجنة، ما قاله الطبري والقرطبي: وقوله «ويخلق ما لا تعلمون» اي ما لا تعلمون مما أعد في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها، مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر[١١].

ثانيا: نماذج من استعمال بعض المفسرين للعلم خارج الضوابط التفسيرية.

نذكر لكم أمثلة على أن بعض المفسرين استخدموا العلم بغير ضوابطه التفسيرية، فكان تفسيرا بالرأي وتفسيرا خاطئا.

١. قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ [سورة الهمزة: ٤-٧]، فهناك من فسر هذه النار بالأشعة السينية (أشعة إكس)[١٢] التي تكشف جوف الإنسان!!.

فإنّ «تطّلع» -التي فسرها القدامى بالوصول إلى القلوب لإحراقها -وإن

(١١) جامع البيان، للطبري: ١٤/ ٨٣. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٠/ ٥٣-٥٤.

(١٢) يوسف حسن نوفل. المكتبة القرآنية: ١٧٠، الناشر: دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، القاهرة.

تحتمل معنى الإطلاع والمعرفة، ولكن سياق الآيات يرجح أن هذه هي نار جهنم لا غير. ولا مجال لتحميل النص هذا التأويل المبالغ فيه، اضف الى ذلك انه من قال أن أشعة إكس تطلّع على ما في القلوب؟!.

٢. إستدل أحد الباحثين -والكلام للشهيد محمد حسين بهشتي -على حركة الأرض السريعة أن قام بإعداد بحث حول الطبيعة في القرآن واستند إلى مفاهيم عصرية غير متناسبة مع نزول القرآن، حيث يستدل بالآية الكريمة: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [سورة المرسلات: ٢٥] على أن الله تعالى وصف الأرض بالطائر السريع الطيران، وبذلك بيّن حركة الأرض السريعة[١٣].

وقد قلتُ له -اي الشهيد بهشتي -: عليك أن ترى هل أن لفظ «كفات» كان يملك معنى الطائر السريع في عصر نزول القرآن وبيئته؟. أم أن اللفظ اكتسب هذا المعنى بالتدريج؟. ثم عليك ثانيا أن تلاحظ أن هذه الآية متصلة بالآية التي تليها؛ ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [سورة المرسلات: ٢٦]، فماذا يعني الطائر السريع الطيران للأحياء والأموات؟. فهل ثمة معنى واضح؟. وبالرجوع إلى المعاجم يتبين أن «كفاتا» في الأصل هي الأرض التي تضم الأشياء الأخرى؛ ألم نجعل الأرض تضم الأحياء والأموات. نعم، يقال فرسٌ كفتٌ وكفيتٌ اي سريع[١٤]، ولكن طائر سريع اسمه كفات من أين؟.

ولعل هذا الباحث استند إلى أحد كتب اللغة الحديثة وهو كتاب المنجد، حيث يقول المؤلف فيه: وكفت كفتاً وكفيتاً وكفتاناً الطائرة وغيره، أسرع في الطيران أو العدو وتقبّض فيه[١٥]. وألف هذا الكتاب وطبع في القرن العشرين لا غير. هذا أقرب مستند وجدته للباحث

(١٣) الشهيد بهشتي، في مقال في مجلة رسالة الثقلين. العدد: ٩، ص: ٢٤.

(١٤) لسان العرب لابن منظور، أو المقاييس لابن فارس (كنت).

(١٥) المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، مادة (كفت) كما لابد ان اشيران بعض هذه المعاني أشار أليها ابن منظور في لسان العرب.

وهو كما ترى بعيد جداً عن تفسير الآية الكريمة.

ثالثا: أمثلة على أن العلم ساهم في تصحيح التفسير الخاطئ.

إن من أسباب اختلاف المفسرين تنوع ثقافة كل مفسر وما لديه من علوم ومعطيات وما يستجد في عصره من قضايا، ففي عصرنا هذا -عصر التقدم العلمي والتطور التقني -ظهرت مخترعات وانكشفت حقائق علمية ثابتة في عالم الأنفس والآفاق، التي لم تخطر على بال السابقين أصلا.

١. **حركة الأرض.**

الفخر الرازي طبّق بعض المسائل العلمية على القرآن، فاستدلّ على سكون الأرض[١٦] بالآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾[سورة البقرة: ٢٢].

يقول الفخر الرازي: اعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر هاهنا أنه جعل الأرض فراشا، ونظيره قوله: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾[سورة النمل: ٦١] وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾[سورة الزخرف: ١٠]، واعلم أن كون الأرض فراشا مشروط بأمور، الشرط الأول كونها ساكنة، وذلك لأنها لو كانت متحركة لكانت حركتها إما بالإستقامة أو بالإستدارة، فإن كانت بالإستقامة لما كانت فراشا لنا على الإطلاق، لأن من طفر من موضع عال كان يجب أن لا يصل إلى الأرض لأن الأرض هاوية وذلك الإنسان هاو، والأرض أثقل من الإنسان، والثقيلان إذا نزلا كان أثقلهما أسرعهما والأبطأ لا يلحق الأسرع فكان يجب أن لا يصل الإنسان إلى الأرض، فثبت أنها لو كانت هاوية لما كانت فراشا، أما لو كانت حركتها بالإستدارة لم يكمل انتفاعنا بها، لأن حركة الأرض مثلا إذا كانت إلى المشرق والإنسان يريد أن يتحرك إلى جانب المغرب ولا شك أن حركة الأرض أسرع فكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه وأنه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد، فلما أمكنه ذلك علمنا أن الأرض غير متحركة لا بالإستدارة ولا بالإستقامة، فهي ساكنة[١٧].

(١٦) مفاتيح الغيب: ٢/ ٩٤.

(١٧) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: ٢/ ٣٣.

٢. كروية الأرض.

فاستدل بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾[سورة الرعد: ٣] على كون الأرض مسطحة. قال الآلوسي: «وهو الذي مد الأرض» اي بسطها طولا وعرضا، قال الأصم: البسط، المد إلى ما لا يرى منتهاه، ففيه دلالة على بعد مداها وسعة أقطارها. وقيل: كانت مجتمعة فدحاها من مكة من تحت البيت. وقيل: كانت مجتمعة عند بيت المقدس فدحاها وقال -سبحانه -لها: اذهبي كذا وكذا، وهو المراد بالمد. واستدل بالآية على أنها مسطحة غير كروية[١٨].

واليوم وبفضل عدسات وتصوير الأقمار الصناعية باتت كروية الأرض من الأمور البديهية التي يتعلمها الأطفال والكبار.

خلاصة البحث:

تبيّن مما سبق مساهمة العلم التجريبي في التعمّق في التفسير ودوره في تطويره، وقد تمّ ذكر عدة أنموذجات من حيثيات مختلفة، ومقارنة بين تفاسير القدماء والمتأخرين، فكانت النتيجة أن معاني القرآن الكريم أوسع ممّا كان يتصوره المتقدمون، وأن الزمان يساهم في تفسير القرآن الكريم وبيان مفاهيمه ومصاديقه عن طريق علمي مؤيد ببراهين واضحة، وإن كان هناك بعض المفسرين استخدموا العلم بغير ضوابطه التفسيرية فكان تفسيرا بالرأي وتفسيرا خاطئا.

وكذلك قد ساهم العلم أيضا في تصحيح التفسير الخاطئ عند بعض المفسّرين في تفسير الآيات العلمية.

(١٨) السيد محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٨٨. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، تاريخ الطبع: ١٤١٥هـ. بيروت.